﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾ [الأعراف: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

أعـقـبَ المـنّـةَ بنِعمةِ اللّباس، بـالـتّـحـذيـرِ من فتنةِ الشّيطان، ومُحاولتِه إظهارَ عَوارِ الإنسانِ

لمَّا ذَكَّر اللّه ﷻ بني آدمَ في الآيةِ السَّابقةِ بنعمةِ اللّباس الّذي هو بابُ سَترِ العوراتِ وبابُ التّقوى، وكان ذلك مُستفادًا من قصَّة أَبَوَيهِمْ مع الشَّيطان الّذي أغراهما وأوقعهُما في المعصيةِ، ونتجَ عنها بُدُوُّ السّوءاتِ، وهو أمرٌ لا تقبلُه الفِطرةُ السَّليمةُ؛ فطفقَا يخصِفان عليهما من ورقِ الجنَّةِ؛ جاءت هذه الآيةُ بهذا النِّداء؛ لتحذِّرَهم منَ الوقوعِ في شِراك الشَّيطان الّذي بيَّن القرآنُ عداوتَه المُتأصِّلةَ لأَبَويهم بقولِه تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾.

وأيضًا أنَّه أعاد خطابَ بني آدم؛ ليكونَ النِّداءُ تكملةً للآي قبلَه، فجاءَ على التَّحذيرِ منَ الافتتانِ بالشَّيطانِ ومن متابعتِه بإظهارِ كيدِه للنَّاس منِ ابتداءِ خلْقِهم؛ إذْ كادَ لأصلِهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ﴾: أصلُ معنى الفتنةِ: هو الاختبارُ والابتلاءُ، يقال: فتنتَ الذَّهبَ في النَّار؛ إذا أدخلتَه إليها لتعلمَ جودتَه من رداءتِه، والفِتنَةُ منَ الأفعال الّتي تكونُ منَ اللّه تعالى، ومن غيره، ومتى كانت منسوبةً إلى اللّه تعالى؛ فهي على وجه الحكمةِ، بمعنى إظهارِ الأمر بالاختبار والابتلاء، ومتى كانت من غيره؛ فهي بمعنى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/76.

الصَّدِّ والإضلالِ والخداعِ. ومعنى: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾: لَا يُضلَّنَّكُم، ولا يخدعنَّكم، أو لا يمحنَنَّكم، ويبتلينَّكم[1].

2) ﴿أَبَوَيْكُم﴾: الأبُ: الوالد، وأصلُه أَبَوٌ، ويُسمَّى كلُّ من كان سببًا في إيجاد شيءٍ أو صلاحِه أو ظهورِه (أبًا) أو إيوائِه أو غيرِ ذلك، ويُسمَّى العَمُّ مع الأب: (أبوين)، وكذلك الأمُّ مع الأبِ. ويقال للأب والأمِّ: أبوان، على التَّغليب. وسُمِّيَ الأَبُ أَبًا لغَذْوه أولادَه ومَنْ يعُولُه، أي: إطعامُهم، والسّعيُ عليهم؛ من أجل ذلك[2]. والمرادُ بالأبوين في الآية: آدم وحوَّاء.

3) ﴿يَنزِعُ﴾: يدورُ معنى النَّزعِ على اقتلاع شيءٍ خارجًا عن مقرِّه بجَذْبٍ قويٍّ ممَّا يلتحمُ به أو يكونُ ملتصقًا به، يقالُ: نزعَ الشَّيءَ، أي: قلعَهُ من مقرِّه وجذبَه وسلبَه، كنَزْعِ القَوْس عن كبدِه، ونزع الشَّيءَ من فلانٍ: سلبُه بعد أن كان متمسِّكًا فيه، ومنه نزْعُ الملائكةِ الأرواحَ منَ الأبدان، والتَّنَازُعُ والمُنَازَعَةُ: المُجَاذَبَة، بأن يريد كلٌّ أن يقتلعَ أمرًا من يد صاحبِه[3].

4) ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾: القَبيلُ: جمعُ قَبيلَةٍ، وهي الجماعةُ المجتمعةُ الّتي يُقبلُ بعضُها على بعض، وقد تكونُ من قبائلَ شتَّى، أو لبني أبٍ واحدٍ، وكلُّ مجموعةٍ منَ الإنس أو منَ الجنِّ: قبيلٌ، والقبيلةُ لا تكونُ إلَّا لأب واحدٍ، وسائرُها منَ النَّاس، فليست القبيلةُ تَأنيثَ القَبيلِ لهذه المُغايرَة. والمرادُ بـ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ هنا جنودُ إبليسَ منَ الجنِّ[4].

5) ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: الوَلْيُ: القَربُ، يُقال: جلسَ ممَّا يليني، أي: يقاربُني، ويُستعملُ للقُربِ من حيث المكانُ، ومن حيثُ النِّسبةُ، ومن حيث الدِّينُ، ومن حيث الصّداقةُ والنُّصرةُ والاعتقادُ، وكلُّ من ولي أمرَ آخرَ؛ فهو وليُّه، وفلانٌ أولى بكذا، أي: أحرَى به وأجدرُ، لقربِه منه، وقولُهم في الشّتمِ: أولى لك، هو تهديدٌ ووعيدٌ بمعنى: قاربَه ما يُهلكُه، والوَلِيُّ: التَّابِع

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (فتن)، وابن جرير، جامع البيان، تح، شاكر: 12/373، والسّمعاني، تفسير السّمعانيّ: 2/176.

(2) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أبو).

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نزع).

(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (قبل)، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 9/75.

المُحِبُّ لقُربِه ممَّن وليَه[1]، وأولياءُ في الآيةِ بمعنى: قرناءَ، أو أعوانٍ، أي: مُوالِين لهم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الطّاعةُ لأوامرِ الله تعالى، هي الحِصنُ الّذي يَقِي المؤمنَ فِتنةَ الشَّيطانِ وزَيْغَه

يا بني آدمَ، لا يخدعنَّكم الشَّيطانُ، فيُزيِّنَ لكم المعصيةَ، كما زيَّنها لأبويكم آدمَ وحوَّاءَ، فأخرجَهما بسببِها منَ الجنَّة، ينزعُ عنهما لباسَهما الّذي سترَهما اللّهُ به؛ ليريَهما سوءاتِهما بكشفِ عورتِهما، وإظهارِها لأعينِهما بعد أنْ كانت مستترَةً، إنَّ الشَّيطانَ يراكم هو وذريَّتُه وجنسُه، وأنتم لا ترونهم، فاحذرُوهم؛ لأنَّ اللّه جعلَهم أولياءَ للكفَّارِ الّذين لا يوحِّدونَ اللّه، ولا يصدِّقونَ رسُلَه، ولا يعملون بهديِه[3]. وتُرشدُ الآيةُ إلى الحذرِ منَ الشّيطان، وعدمِ الغفلةِ عنِ المواضعِ التّي يدخلُ منها على الإنسان.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ تَكرارِ النِّداءِ في الآيةِ، مع قُربِ العهْدِ به:

تأكيدُ النَّهْيِ عنِ الإصغاءِ إلى الشَّيطانِ واتِّباعِه

كُرِّرَ النِّداءُ بقولِه تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾: لِزيادةِ التَّنويهِ بمنَّة اللِّباسِ؛ توكيدًا للتَّعريضِ بحماقةِ الّذينَ يحجُّون عُراةً، ولِتأكيدِ التَّحذيرِ لبني آدم؛ فإنَّه لمَّا بلغ تأثيرُ وسوسةِ الشَّيطانِ في حقِّ آدمَ مع جلالةِ قدرِه إلى أنْ أخرجَه منَ الجنَّة، فكيف يكون حالُ آحادِ النَّاس؟

وفيه أيضًا إيذانٌ بكمالِ الاعتناءِ بمضمونِ ما صُدِّرت به الآيةُ، وهو النَّهيُ عنِ الإصغاءِ إلى الشَّيطانِ واتِّباعه، كما أنَّه لمّا كانت الآيةُ تحكي أحوالا مختلفة، ناسبَ أنْ يُكرَّرَ النّداءُ، وفيه إشارةٌ إلى كمالِ لُطفِه ﷻ، وعنايتِه ببني آدمَ في توجيهِهم وتحذيرِهم، ممّا

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (ولي).
(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/186.
(3) ابن جرير، جامع البيان، تح، شاكر: 12/373، ونخبة من العلماء، التّفسير الميّسر، ص: 153.

يَجبُ الحذرُ منه، وهذا منهجٌ دعويٌّ في سياقِ الوعظِ والتَّذكيرِ؛ لأنَّ التّكريرَ من أقوى أساليبِ التَّنبيهِ والتَّأثيرِ[1].

العُدول عن نهْيِ الشَّيطانِ عنِ الفِتنةِ، إلى نهْيِ المُخاطَبينَ:

المبالغةُ في النَّهْيِ عنِ الافتتانِ بالشَّيطانِ، تُظهرُ عظيمَ خطرِه

قوله تعالى: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾: ظاهرُ اللَّفظِ نهيُ الشَّيطانِ عن أنْ يفتِنَ بني آدمَ، فذكرَ اللَّازمَ، وأرادَ ملزومَهُ، وهو نهيُ المخاطَبين عنِ الافتتانِ به ومتابعتِه والإصغاءِ إليه، وهذا من أساليبِ العربِ البليغةِ، كقولِهم: لا أرينَّك هنا: أي: لا تحضرنَّ هنا، فأراكَ، وإنَّما عدلَ عنِ الأصلِ للمبالغةِ الحاصلةِ في النَّهيِ عنِ الافتتانِ بالشَّيطانِ بسلوكِ طريقِ الكنايةِ، وللإيذانِ بأنَّ الشَّيطانَ هو مبدأُ الفتنةِ تنبيهًا إلى عظيمِ خطرِه، وللإشعارِ بأنَّه يسعى دائمًا إلى فتنتِهم، فمَن لم يفتتِن بفتنةِ الشَّيطانِ؛ كأنَّ الشَّيطانَ لم يتعرَّض لفتنتِه أصلًا[2].

نُكتةُ إيثارِ صِيغةِ الفعلِ المضارعِ، في قولِه: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾:

وَسـاوِسُ الشَّيطانِ تَصِلُ إلى عقلِ الإنسانِ وفِكْرِه وقلْبِه

عبَّر بصيغةِ المضارعِ؛ للدَّلالةِ على استمرارِ فتنةِ الشَّيطانِ لبني آدمَ، وتجدُّدِها حالًا فحالًا، فهو يَجري من ابن آدم مجرَى الدّم في الجسدِ؛ إذ إنَّ وساوسَ الشَّيطانِ تصِلُ إلى عقلِه وقلبِه وعُروقِه، كما أنَّ الدَّمَ يَسيرُ في جميعِ البدَنِ.

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ، بقولِه تعالى: ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ دون غيرِه:

الفِتنةُ إمَّا بمعنَى الإضلالِ، وإمَّا بمعنَى المِحنةِ والابتلاءِ

لمّا كان الافتتانُ بمعنى الاختبارِ والامتحانِ، وكان امتحانُ الشَّيطانِ لبني آدم مقترنًا بوسوستِه لكي يضلَّهم، كان المرادُ من لفظِ الفتنة هنا مآلَه وغايتَه، فإمَّا أنْ تكونَ الفتنةُ بمعنى إضلالِ بني آدم لكي يعصُوا اللّه تعالى ولا يطيعوه، وإمَّا أنْ تكونَ بمعنى المحنةِ والابتلاءِ.

---

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب مفاتيح الغيب: 14/223، والآلوسّي، روح المعاني: 4/344، ورشيد رضا، تفسير المنار: 8/321، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/76.

(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/390، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 9/72، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/366، وابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/366.

دَلالة مجيءِ نونِ التَّوكيدِ الثَّقيلةِ في: ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ﴾:

دوامُ التّحذيرِ، من فِتنةِ الشّيطانِ الخطيرِ

جاء استعمالُ نونِ التّوكيد الثّقيلةِ في قولِه تعالى: ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ﴾: لتأكيدِ النَّهي عن الافتتانِ بالشَّيطان، والتّحذيرِ من فتنتِه الدّائمةِ.

بَلاغةُ التَّشبيهِ والاحْتباكِ في الآيةِ الكريمةِ:

من بلاغةِ القرآنِ الجمْعُ بين التَّشبيهِ والاحتباكِ

في قولِه تعالى: ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾، تقديرُ الكلام: لا يَفتننَّكم فتنةً مثلَ فتنةِ إخراجِ أبوَيكم، وهو من تشبيه المرَكَّب بالمركَّب، ولم يأتِ الكلامُ كما في صورة التَّقدير، كما لم يقلْ: (لا يفتننَّكم الشَّيطانُ كما فتنَ أبَوَيكم)؛ من أجلِ تأديةِ المعنى بمنتهى الإيجاز مع براعة التَّعبير[1]، وبيانُهُ أنَّه لمّا كان الكلامُ على معنى تشبيهِ فتنةِ الشَّيطانِ لبني آدمَ بفتنتِه لآدَمَ وحوَّاءَ، دلَّ على أنَّ الكلامَ على تقديرِ محذوفٍ من المشبَّهِ بما دلَّ عليه المشبَّهُ بهِ، وتقديرِ محذوفٍ منَ المشبَّهِ به بما دلَّ عليه المشبَّه، اتِّكاءً على قرينة السّياقِ؛ ليكونَ على أسلوبِ الاحتباك، فإذا كان ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ﴾ معنى: لا يضلَّنَّكم، أو لا يخدعنَّكم، فيكونُ قد ذكر السَّبب، وحذف المسبَّب في المشبَّه، وذكر المسبَّبَ، وحذف السَّببَ في المشبَّه به، أي: أقيم الإخراجُ، وهو المسبَّبُ مقام المشبَّهِ بهِ، والمعنى: لا يضلَّنَّكم الشَّيطانُ أو لا يخدعنَّكم، فيترتَّب عليه ألَّا تدخلوا الجنَّةَ كما فتنَ أبويكم، فترتَّبَ عليه خروجُهما منَ الجنَّةِ الّتي كانا يتمتَّعانِ بنعيمها[2]، وإذا كانَ قولُه: ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ﴾ بمعنى: المحنةِ والابتلاءِ، فيكونُ على العكسِ، أي: ذكرَ المسبَّبَ، وحذف السَّببَ في المشبَّهِ، وذكر السَّببَ، وحذف المسبَّبَ في المشبَّهِ به، أي: أقيم السَّببُ: وهو الإخراجُ مقامَ المشبَّه به، والمعنى: لا يمحننَّكم الشَّيطانُ بأنْ يمنعَكم

(1) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 5/291، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4098.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/373، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/223، ورشيد رضا، تفسير المنار: 8/322.

دخولَ الجنَّة بإغوائِكم، كَما أوقعَ أَبَوَيكُمْ في المحنِ والبلاءِ بسببِ الإخراجِ من الجنَّة، ومن مقاصدِ التَّشبيه هنا تذكيرُ البشرِ بأعظمِ فتنةٍ فَتَنَ الشَّيطانُ بها نوعَهم، وشملت كلَّ واحدٍ منَ النَّوعِ؛ إذ حُرِمَ منَ النَّعيمِ الّذي كان يتحقَّقُ له لو بقيَ أبواه في الجنَّة، وتناسلا فيها، والتَّذكيرُ بأنَّ عداوةَ البشرِ للشَّيطانِ موروثةٌ، فيكونُ أبعثَ لهم على الحذرِ من كيدِه[1].

النُّكتةُ في تشبيهِ فِتنةِ الشَّيطانِ بالإخراجِ منَ الجَنّةِ:

مآلُ الافتتانِ بالشَّيطانِ، الحِرمانُ منَ الجِنانِ

لمّا كانت فتنةُ الشَّيطانِ غيرَ ظاهرةٍ، وهي أمرٌ معنويٌّ جُعلَ المشبَّه به أمرًا حسِّيًّا؛ لتقريبِ معنى الفتنةِ للبشرِ وتخويفِهم بها، فشبَّهَ فتنةَ الشَّيطانِ بما آلت إليه فتنةُ آدمَ وحوَّاءَ، إذ كانَ مآلُ فتنةِ الشَّيطانِ لآدمَ وحوَّاءَ الحرمانَ منَ البقاءِ في الجنَّة، ففي التَّشبيهِ تذكيرٌ وتنبيهٌ لبني آدمَ بأنَّ الفتنةَ ستضرُّكم كما سبقَ وألحقتِ الضّررَ بأبويكم آدمَ وحواءَ.

سِرُّ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ دونَ إبليسَ:

أذَى إبليسَ مقصورٌ على نفسِهِ، وأذَى الشَّيطانِ مُتَعدٍّ إلى غيرِه

في قوله تعالى: ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ جاء التعبير بلفظ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ دون إبليس، والنَّاظرُ في آياتِ القرآنِ الكريم في قصَّة آدمَ عليه السلام وطلبِ السُّجودِ له منَ الملائكة، يجدُ أنَّ التّعبير بلفظ (إبليس) وردَ في سُوَرٍ عديدةٍ منها؛ البقرةُ، والأعرافُ، والحجرُ، وغيرُها منَ السُّور الّتي وردَ فيها لفظُ (إبليس)، وهو مأخوذٌ من الإبلاسِ، والمرادُ به شدَّةُ اليأس؛ لأنَّ اللّه آيسَهُ منَ الخيرِ، وقيلَ: مأخوذٌ منَ البَلَس، وهو الحزنُ المُعترضُ من شدَّةِ الإبلاسِ. والمُلاحظ أنَّه في هذا المشهدِ، لم يتعدَّ أذاهُ إلى غيره، بل عادَ عليه هو؛ حيثُ لُعن وطُرد بسبب استكبارِهِ عنِ السُّجودِ.

(1) البيضاويّ، أنوار التنّزيل: 3/10، والطّيبي، فتوح الغيب: 6/360، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/366، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/77.

أمَّا لفظُ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: وأصلُه من شَطَنَ أي: (بَعُد) أو من شَاطَ؛ إذا احترق، وهلك، ولذلك فهو وصفٌ يَقعُ على كلِّ عاتٍ متمرِّدٍ منَ الجنِّ والإنس، وهذا يدلُّ على تعدِّي أذاه إلى الآخرِ؛ يؤكِّدُ ذلك أنَّه لمَّا أوقع آدمَ وحوَّاءَ في المعصية بأكلِهما منَ الشَّجرة؛ عبَّر القرآن عنه بوصف الشَّيطانِ، فقال تعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، وهذا واضحٌ في تعدِّي أذاه إلى الآخرِ.

نُكتةُ إيثارِ المصْدرِ المؤوَّلِ، في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ﴾:

إخـراجُ آدمَ منَ الجنَّـة، أعظمُ فِـتـنـةٍ فعلَها الـشَّـيـطـانُ، وتسبَّبَ فيها

عُبِّرَ بالمصدرِ المؤوَّلِ؛ للدَّلالةِ على تشبيهِ فتنةِ الشَّيطانِ بنفْسِ خروجِ آدمَ وحوَّاءَ منَ الجنَّة من غير نظرٍ إلى أيِّ وصفٍ لنوعِ الخروجِ؛ للإشعارِ بأنَّ نفسَ الخروجِ منَ الجنَّة أعظمُ فتنةٍ فعلَها الشَّيطانُ وتسبَّبَ بها.

سِرُّ التَّعبيرِ بالماضِي، في قولِه تعالى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَ﴾:

شِـدّةُ تحذيرِ أبنـاءِ آدمَ من فِتنةِ الشّيطانِ

عبَّر بالفعلِ الماضي للدَّلالةِ على تحقُّقِ الإخراجِ لآدمَ وزوجِه، وفي هذا إلهابٌ لمشاعرِ الأبناءِ للحذرِ من فتنةِ الشّيطان؛ لأنَّه مُصِرٌّ على إبعادِ ذريَّةِ آدمَ عنِ الجنَّة، كما حقَّق ذلك مع أبوَيْهم.

سِرُّ العُدولِ عن نِسبةِ الفِتنةِ إلى آدمَ وحوّاءَ:

تـحـذيـرُ بـنـي آدمَ مـن فِـتنةِ الـشَّـيـطـانِ وإغوائِه

في قولِه تعالى: ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾، عبَّر مع آدمَ بالإخراجِ، ومع بَنيهِ بالفتنةِ؛ لأنَّ الغرضَ تحذيرُ بني آدمَ من فتنةِ الشَّيطانِ حتى لا يخرجُوا من جنَّةِ التَّكليفِ والطَّاعةِ؛ كما خرج أبواهُما منَ الجنّة. وأيضًا لاختلافِ الموقفَيْن، فأمْرُ إخراجِ آدمَ أمرٌ قدَّره اللّه أزلًا؛ لأنَّه سيخرجُ منَ الجنَّة إلى الأرض لأداءِ مهمَّةِ الخلافة؛ فاصطفاه اللّه واجتباهُ، فلم يعُدْ للشَّيطانِ معهُ طريقٌ. أمَّا بالنِّسبةِ لبنيهِ؛ فأمرُ الفتنةِ معهم أمرٌ ثابتٌ بينَ الشَّيطان وبني آدمَ، والمطلوبُ منَ الإنسانِ أن يُنَقِّيَ نفسَه من شوائبِ الشِّرك والمعصيةِ؛ لأنَّ ذلك هو دورُ الشَّيطانِ في فتنة بني آدمَ.

سِرُّ العُدولِ عن لفظَيْ (آدمَ) و(حوّاءَ) إلى لفْظِ ﴿أَبَوَيْكُم﴾:

إرشادُ بني آدمَ إلى أنَّ الشَّيطانَ عدُوٌّ، مُتمكِّنٌ في عَداوتِه لهم

عدلَ القرآنُ عنِ التَّصريح باسمِ آدمَ وحواءَ إلى التَّعبير بقولِه: ﴿أَبَوَيْكُم﴾؛ لإثارة الحَميَّةِ في قلوبِ بني آدمَ ليأخذوا بثأرِ أبيهم منَ الشَّيطان، وليعلمُوا أنَّ الشَّيطانَ عدوٌّ متمكِّنٌ في عداوتِه لهم بدليل موقفِه مع أبوَيْهم.

بَلاغةُ المجازِ العقليِّ في قولِه: ﴿أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾:

الإشعارُ بأنَّ مآلَ اتِّباعِ فِتنةِ الشَّيطانِ، انتفاءُ دُخولِ الجنَّةِ

نسبَ إخراجَ آدمَ وحوَّاءَ إلى الشَّيطانِ، وإنْ لم يتولَّ ذلك؛ لأنَّ الإخراجَ كانَ بسببٍ منه، فأُسنِدَ إليه على طريقِ المجازِ العقليِّ؛ لتعظيمِ خطرِ الشَّيطانِ وللتَّحذيرِ منِ اتِّباعِ وسوستِه.

وللإشعار بأنَّ مآلَ اتِّباعِ فتنةِ الشَّيطانِ انتفاءُ دخولِ الجنَّة، كما أنَّه لمّا فتنَ أبويكم؛ أُخرجا منَ الجنَّة، وللتَّذكيرِ بعظمِ فتنةِ الشَّيطان لتأكيدِ التَّحذيرِ منه.

نُكتةُ ذكْرِ قولِه تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾:

الإيماءُ بأنَّ مَصيرَ مَن يَقعُ في فِتنةِ الشَّيطانِ، أن يُحرمَ منَ الجنّةِ والرّحمةِ

للإشعار بأنَّ مصيرَ من يقعُ في فتنة الشَّيطان أن يُحرمَ من دخولِ الجنَّةِ، وفيه حثٌّ لبني آدمَ بالحذرِ من فتنةِ الشَّيطان وعدمِ اتِّباع إغوائِه، لما يعقُبُ ذلك منَ الخُسرانِ المبينِ.

نُكتةُ التَّعبيرِ بصِيغةِ المضارعِ: ﴿يَنزِعُ﴾:

استحضارُ بشاعة ما قام به الشَّيطانُ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ على أنَّه حكايةُ حالٍ؛ لتصويرِ الحالةِ واستحضارِ الصُّورةِ البَشعةِ الّتي قام بها الشَّيطانُ، فهو الّذي تسبَّبَ في نزعِ لباسِهما[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿يَنزِعُ﴾:

الشّيطانُ أغوَى آدمَ وزوجَهُ، ترغيبًا لا ترهيبًا

في قولِه تعالى: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾، آثرَ فيه التّعبيرَ بالنَّزعِ، في قولِه: ﴿يَنزِعُ﴾ دون (يسلبُ)؛ لوجودِ فرْقٍ بينهُما، فالسَّلبُ نزعُ

(1) السّمين الحلبي، الدّر المصون: 5/291، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/222.

الشَّيءِ منَ الآخرِ على سبيل القهْرِ، قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ [الحج: 73]، أمَّا النَّزْعُ فهو جذْبُ الشَّيءِ من مقرِّهِ كنزعِ القوسِ عن كَبِدِهِ، ويُستعملُ في الأعراضِ، ومنه نزْعُ العداوةِ والمحبَّة منَ القلب، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: 43].

وبناءً على هذا، نلاحظُ أنَّ التّعبيرَ القرآنيَّ آثرَ النَّزعَ دونَ السَّلبِ؛ لأنَّ إبليسَ أغوى آدمَ وزوجَهُ خِداعًا وغُرورًا؛ فصفةُ القهرِ غيرُ موجودةٍ؛ لذلك عَبَّر بالنَّزع، وهو أخذُ الشَّيءِ من مقرِّه الثَّابت فيه، والمُتمكِّن منه، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ اللِّباس بالنِّسبة لهما شيءٌ ثابتٌ مستقرٌّ، وما فعله الشَّيطانُ هو قَلْعُ اللِّباس من مَقرِّه؛ كأنَّهما كانا داخلَيْن فيه، وتسبَّب الشَّيطانُ في إسقاطِه عنهما، يؤكِّدُ ذلك تعدِّي الفعلِ بـ (عن) دون (مِنْ)؛ فلم يقل: (ينزع منهما)؛ لأنّ تعدِّي الفعل بـ(مِنْ) يشيرُ إلى معنى الأخْذِ بقوةٍ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [ال عمران: 26]

دَلالةُ جُملةِ ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾:

وردتْ هذه الجملةُ حالًا، وصاحبُ الحالِ إمَّا ﴿أَبَوَيْكُم﴾ أو الضَّميرُ في ﴿أَخْرَجَ﴾، والمعنى: أخرجَ الشَّيطانُ أبوَيْكم نازعًا عنهما لباسَهما، ولمّا كان نَزْعُ اللِّبَاسِ عَنْهُمَا قَبْلَ الإخْرَاجِ؛ كانت هذه الجملةُ على سبيلِ حكايةِ أَمْرٍ قَدْ وَقَعَ، والمقصودُ من هذه الحال تفظيعُ هيئةِ الإخراج بكونها حاصلةً في حال انكشافِ سوءاتِهما؛ لأنَّ انكشافَ السَّوءةِ من أعظمِ الفظائعِ في متعارَفِ النَّاسِ[1].

انكشافُ السَّوءةِ، من أَعْظمِ الفظائعِ في مُتعارَفِ النَّاسِ

بَلاغةُ المجازِ العقليِّ في قولِه تعالى: ﴿يَنزِعُ﴾:

أضاف نزعَ اللِّباسِ إلى الشَّيطانِ، وإنْ لم يتولَّ ذلك؛ للمبالغةِ في المعنى؛ لأنَّهُ كان بسببٍ منه لغُرورِ الشَّيطانِ وَوسْوستِه لهما بالأكلِ

تَنوُّعُ الأساليبِ البلاغيَّةِ، غايتُه تقريرُ المعنى وتأكيدُه

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/98، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/223، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/32، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/78.

منَ الشَّجرةِ، فأسندَ النَّزعَ إليه، كما تقولُ: أنت فعلتَ هذا؟ لمن حصلَ منه ذلك الفعلُ بسببٍ؛ وإن لم يباشرْه[1].

دَلالةُ اللَّامِ في قولِه تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا﴾:

مآلُ نزعِ اللِّباسِ انكشافُ العَورةِ، وضَياعُ السَّتْرِ

تحتملُ اللَّامُ أنْ تكونَ لامَ العاقبةِ، والمعنى: مآلُ نزعِ اللِّباسِ رؤيتُهما سوءاتِهما، وتحتملُ أن تكونَ للتَّعليلِ الادِّعائي، تبعًا للمَجازِ العقليِّ؛ لأنَّه لمَّا أسندَ الإخراجَ والنَّزعَ والإراءةَ إلى الشَّيطانِ على وجهِ المجاز العقليِّ، فجُعِلَ كأنَّه فاعلُ الإخراجِ ونزعِ لباسِهما وإراءتِهما سوءاتِهما؛ فانتظمَ الإسنادُ الادِّعائيُّ معَ التَّعليلِ الادِّعائيِّ، فكانت لامُ العلَّةِ قرينةً مُقوِّيةً للإسنادِ المجازيِّ.

سِرُّ التَّعبيرِ بقولِه تعالى: ﴿لِيُرِيَهُمَا﴾ دون (لِيرَيا سوءاتِهما):

الشَّيطانُ يَسرُّه أنْ يرَى ابنَ آدمَ مكشوفَ السَّوْءَةِ، حِسًّا ومعنًى

جاء التَّعبيرُ بهذه الصّيغةِ؛ ليدلَّ على أنَّ الشَّيطانَ له غرضٌ واضحٌ، وهو أنْ يُريَهما سوءاتِهما ليتمَّ ادِّعاءُ كونِه فاعلَ ذلك الفعل المُضِرِّ، وكونِه قاصدًا من ذلك الشَّناعةَ والفظاعةَ، كشأنِ الفاعلين أنْ تكونَ لهم عللٌ غائيَّةٌ من أفعالِهم إتمامًا للكيدِ، وإنَّما الشَّيطانُ في الواقعِ سببٌ لرؤيتِهما سوءاتِهما. وفي العبارةِ إشارةٌ إلى أنَّ الشَّيطانَ يهتمُّ بكشفِ سَوءةِ ابنِ آدمَ؛ لأنَّه يسرُّه أنْ يراه في حالةِ سُوءٍ وفظاعةٍ[2].

بَلاغةُ الاستئنافِ البيانيِّ، في جملة ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾:

استِدرارُ أسماعِ المخاطَبينَ، للتَّحذيرِ من فِتنةِ الشَّياطين

لمّا نهى اللّه تعالى عنِ الافتتانِ بالشَّيطانِ ومتابعتِه، فكأنَّه قيل: لماذا هذا التَّحذيرُ المؤكَّد منَ الافتتانِ بالشَّيطان، وهل فتنتُه خطيرةٌ وعظيمةٌ؟ فأجابَ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾، لاستدرارِ أسماعِ المخاطَبين والتَّنبيهِ على أهمِّيَّة إصغائِهم.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/223.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/223.

دَلالةُ (إنَّ)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ﴾:

الـجَـمْـعُ بـيـنَ الـتَّـعـلـيـلِ والتَّأكيدِ في لفْظِ (إنَّ)

تُفيدُ (إنَّ) تعليلَ النَّهي وتأكيدَ التَّحذيرِ من فتنةِ الشَّيطانِ، وبيانُه: أنَّه لمَّا تقدَّمَ أنَّ نهيَ الشَّيطانِ عن فتنتِنا إنَّما هو في الحقيقة نهيٌ لنا عنِ الافتتان به، فهو في قوَّةٍ ليشتدَّ حذرُكم من فتنتِه فإنَّه دقيقُ الكيدِ بعيدُ الغَورِ بديعُ المخاتلةِ؛ علَّل ذلك، وأكَّده بقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ﴾، فإنَّه إذا علَّلَ النَّهيَ بعلَّةٍ؛ كانَ أدعَى إلى الإقرارِ وآكدَ في التَّحذيرِ[1].

دَلالةُ تأكيدِ رُؤيةِ الشَّيطانِ وقَبيلِهِ لبني آدمَ:

مَنْ لا يحذرُ منَ الشَّيطانِ بمنزلَةِ المتردِّدِ في فِتنتِه

في قولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾: جاء الأسلوبُ مؤكِّدًا مع أنّ رؤيةَ الشَّيطان وقبيلِه لبني آدمَ أمرٌ واضحٌ مُشاهدٌ لا يحتاجُ إلى تأكيدٍ، لكنه نَزَّلَ المخاطَبين في إعراضِهم عنِ الحذرِ منَ الشَّيطان وفتنتِهِ منزلةَ من يتردَّدونَ في أنَّ الشَّيطانَ يراهُم، وفي أنَّهم لا يرونَه، فكأنَّهم بينَ بينَ في تحيُّرهم، فاستُحسِنَ تقويةُ الكلامِ بـ(إنَّ).

دَلالةُ الضَّميرِ، في قولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ﴾:

الـذي يَراكُم هو وقـبـيـلُـه، هو الّـذي يَفتِنُكم، كما فتنَ أبوَيكم

يحتملُ الضَّميرُ أنْ يكونَ للشَّأنِ، تعظيمًا للمذكورِ بعدَه وتفخيمًا له؛ لاقتضاءِ المقام؛ فإنَّه لمّا أبهمَ الأمرَ بالضَّمير تطلَّعتِ النَّفوسُ إلى معرفةِ الخبرِ، وتشوَّقت إلى فهمِه، فلمَّا فسَّره بجملة ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾؛ أفادَ المبالغةَ في تعظيم أمرِ ما أخبرَ به وتفخيمِه[2]، وبيانُه أنَّ المخاطَبين كأنَّهم استبهمُوا الأمرَ وسألوا عن سببِ التَّحذيرِ من فتنةِ الشَّيطانِ، فقيلَ: إنَّ الشَّأنَ والأمرَ العظيمَ الّذي أُخبرُكم عنه هو أنَّ الشَّيطانَ يراكُم هو وقبيلُه من

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/98، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/223، والبيضاويّ، أنوار التنّزيل: 3/10، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/222، وابن التّمجيد، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/366.

(2) الرّضي، شرح الكافية/2/27.

حيث لا ترونَهم؛ تهويلًا للأمرِ وللمبادرةِ إلى الحذَرِ منه، كما يحتملُ أنْ يكونَ عائدًا للشَّيطان، والمعنى: إنَّ الشَّيطانَ يراكُم هو وقبيلُه من حيث لا ترونَهم. والنُّكتةُ في إعادةِ ذكر الشَّيطانِ بالضَّمير تأكيدُ الأمرِ، والإعلامُ بأنَّ الّذي يراكم هو وقبيله هو عينُ الّذي يريدُ أنْ يفتنَكم كما فتنَ أبويكم للحذَرِ والاحتراسِ منه[1].

تأكيدُ تحذيرِ المؤمنين من إبليسَ اللَّعينِ

دَلالةُ ذكْرِ الضَّمير ﴿هُوَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾:

ذهب بعضُ المفسِّرين إلى أنَّ الضَّميرَ المنفصلَ أُعيدَ ذكرُهُ؛ ليصحَّ عطفُ ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ على الضَّمير في ﴿يَرَىٰكُمْ﴾، وذهب بعضُهم إلى أنَّ العطفَ صحيحٌ، وإنْ لم يُذكرِ الضَّميرُ لوجودِ الفاصل (كُمْ)، وهو كافٍ في صحَّة العطف[2]، وعلى كلا القولين أفادَ ذكرُ الضَّميرِ تأكيدَ الضَّميرِ المستترِ في قولِه: ﴿يَرَىٰكُمْ﴾؛ لتأكيدِ تحذيرِ المؤمنين من إبليسَ اللَّعينِ، والمعنى: الّذي فتن أبوَيْكم هو الّذي يراكم، فاحذرُوا أنْ يفتنَكم.

سِرُّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿ وَقَبِيلُهُۥ ﴾، دونَ (جنوده):

الشَّيطانُ وجُنودُهُ كالقبيلةِ الواحدةِ، في تعاوُنِهم على بني آدمَ

لم يقلْ: (إنَّه يراكم هو وجنودُه)؛ لِمَا يشعرُ به قولُه: ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ أنَّ الشَّيطانَ وجنودَه كالقبيلةِ الواحدةِ في تعاونِهم على بني آدمَ، فيكونُ لفظُ ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ مستعارًا لجنودِ الشَّيطانِ وقبيلتِه؛ لأنَّهما في التَّعاونِ كالقبيلةِ.

سِرُّ مَجيءِ الظَّرْفِ، والتَّعبيرِ بعدَمِ الرّؤيةِ في ﴿لَا تَرَوْنَهُمْ﴾:

العَدوُّ إذا أتَى من حيثُ لا يُرى، يكونُ أَشَدَّ وأخْطرَ

لمّا كان ﴿حَيْثُ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ منَ الظُّروفِ المبهمةِ الّتي تتحدَّدُ بما تضافُ إليه، وكانت ﴿مِنْ﴾ لابتداءِ الغاية المكانيَّةِ هنا، أفادَ التَّركيبُ ابتداءَ غايةِ رؤيةِ الشَّيطانِ وجنودِه

(1) الزّمخشري، الكشّاف: 2/98، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/382، والآلوسّي، روح المعاني: 4/344، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/79.

(2) السّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 5/292.

بني آدمَ منَ المكانِ الّذي تنتفي فيه رؤيةُ بني آدمَ للشَّيطانِ وجنودِه، أَي: إِنَّ الشَّيطانَ يراكُم هو وجُنُودُه وَنَوعُهُ وَذُرِّيَّتُهُ مِنَ الجِهَةِ الّتي لَا تُبصرُونَهُ مِنهَا، فأفادت ﴿حَيۡثُ﴾ عُمومَ رؤيتِهم لبني آدمَ من كلِّ مكانٍ، وإنْ تحدَّدَت بالمضافِ إليه.

وعَبَّرَ بقولِه: ﴿لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾؛ للدَّلالةِ على بيانِ انتفاءِ رؤيةِ بني آدمَ لهم في عُمومِ الأماكنِ قريبِين أو بعيدِين، فلا قُدرةَ لبني آدمَ على مجاراتِهم ودفعِهم إلَّا بعدمِ الافتتانِ بالشَّيطانِ وجنودِه، وذلك بالاعتصامِ بالتَّقوى، والغرَضُ منَ الكلامِ التَّحذيرُ من فتنتِه، فهو بمنزلةِ العدوِّ المُداجي المطاوِلِ الّذي يأتي ليلًا لا يُرى، فهو يكيدُ ويَغتالُ من حيثُ لا يشعرُ النَّاسُ، والعدوُّ إذا أتى من حيث لا يُرى كان أشدَّ وأخوفَ[1].

بَراعةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في الفعلَيْن ﴿يَرَىٰكُمۡ﴾ و﴿لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾:

أفادت صِيغةُ المضارعِ في الفعلَيْن الاستمرارَ وتجدُّدَ الحدوث بتجدُّدِ الأزمانِ، ففي صِيغةِ الفعلَيْن معنى الدَّوامِ، ولَمَا كانت جملةُ ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ بمنزلة التَّعليلِ للنَّهي عنِ الافتتانِ بالشَّيطانِ وجنودِه، وكانت تدلُّ على الدَّوامِ وعُمومِ المكان؛ بدلالةِ ﴿حَيۡثُ﴾، أفادَ الكلامُ دوامَ النَّهي عنِ الافتتانِ بهم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

النَّهيُ عنِ الافتتانِ بالشَّيطانِ وجنودِه، تَفاديًا للزَّيغِ والهلاكِ

بَديعُ طِباقِ السَّلْبِ في قولِه: ﴿يَرَىٰكُمۡ﴾ و﴿لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾:

وردَ الكلامُ على طريقِ طِباقِ السَّلبِ، إظهارًا للتَّفاوتِ بين جانبِ كيدِهم وجانبِ حذَرِ النَّاسِ منهم، فإنَّ جانبَ كيدِهم قويٌّ متمكِّنٌ، وجانبَ حذَرِ النَّاسِ منهم ضعيفٌ؛ لأنَّهم يأتونَ المكيدَ من حيثُ لا يدرونَ[2].

كيدُ الشّياطين قَـويٌّ عَنيفٌ، وحَـذَرُ النَّاسِ منه رَخيٌّ ضَعيفٌ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/32، والسّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 5/293، والآلوسّي، روح المعاني: 4/344.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/79.

دَلالةُ ﴿لَا﴾ النَّافيةِ في قولِهِ ﴿لَا تَرَوْنَهُمْ﴾:

عُبِّرَ بـ﴿لَا﴾ النَّافيةِ لإفادتِها استمرارَ النَّفْيِ[1].

بَلاغةُ موقعِ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾:

سُلِكَ في هذه الجملةِ مسلكَ الاستئنافِ، وتحتملُ معانيَ عدَّةً، هي[2]:

مَنْ يُوالِي الكافرينَ الظّلمةَ، مُوالٍ للشَّياطين الفَجرةِ

أولاً: أنْ تكونَ تعليلًا آخرَ للنَّهْيِ عنِ الافتتانِ بالشَّيطانِ وجنودِه، فتكونَ من قَبيلِ تأكيدِ التَّحذيرِ إثْرَ تأكيدٍ، بل هذا التَّحذيرُ أبلغُ منَ الأوَّل، وجاءَ الكلامُ مؤكَّدًا؛ لتنزيلِ المخاطَبينَ منزلةَ المتردِّدينَ المتحيِّرين في كوْنِ الشَّياطين أولياءَ للَّذين لا يؤمنون، لِمَا يظهرُ منْ مُوالاةِ بعضِ النَّاسِ للكافرين، فإنَّ مَنْ يُوالي الكافرين مُوالٍ للشَّياطين.

ثانيًا: أنْ تكونَ إجمالًا لِمَا فُصِّل في الكلامِ قبلَها، فتكونَ بمنزلةِ جُملةِ التَّذييلِ لتفيدَ عمومَ المعنى وكلِّيَّتَه.

ثالثًا: أنْ تكونَ استئنافًا بيانيًّا، فتكونَ جوابًا لسؤالٍ مطويٍّ، كأنَّه قيل: إذا كان الشَّيطانُ يرى النَّاسَ هو وقبيلُه من حيثُ لا يرونَهم، فأجابَ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أو يقال: لما قال: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ كأنَّ المؤمنين قالوا: لم سُلِّطوا علينا هذا التَّسليطَ العظيمَ الّذي لا يكادُ يسلَمُ معه أحدٌ، فقالَ مخفِّفًا لأمرِهم مُوهيًا في الحقيقةِ لكيدِهم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، فالذين لمْ يوالُوا الّذينَ لا يؤمنون، واتَّخذوا اللّه تعالى وليًّا؛ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

رابعًا: أنْ تكونَ استئنافًا ابتدائيًّا قُصدَ منه الانتقالُ إلى أحوالِ الكافرينَ في ائتمارِهم بأمرِ الشَّيطانِ؛ تحذيرًا للمؤمنينَ منَ الانتظامِ في سِلْكِهم، وتنفيرًا من أحوالِهم.

(1) السّامرائّي، معاني النّحو: 4/206.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/98، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/223، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/382، والآلوسيّ، روح المعاني: 4/344، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/80.

دَلالةُ الضَّميرِ (نا)، في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا﴾، و﴿جَعَلْنَا﴾:

عُبِّرَ بضميرِ العظمةِ في الموضعَيْن العائدِ إلى اللّهِ تعالى[1]؛ للإشعارِ بأنَّ اللّه تعالى أعظمُ منَ الشَّياطين وجنودِه، وأنَّ الأمرَ كلَّه بإذنِه سبحانه، فمَنْ يتَّخذِ اللّه وليًّا؛ فلا سلطانَ للشَّياطينِ والّذين لا يؤمنون عليه.

مَنْ يتَّخذِ اللهَ وليًّا فلا سُلطانَ للشَّياطينِ والكافِرينَ عليه

مُناسبةُ الجمْعِ في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾:

لم يقلْ: (إنَّا جعلنا الشيطان وليًّا)، بل جعلَ قبيلَه من جُملتِه، فجمعَ[2]، كما أفادَ الجمعُ المطابقةَ بين جمعِ الشَّياطين وجمعِ الّذينَ لا يؤمنون، وممّا يؤكِّدُ المُطابقةَ: التَّعبيرُ بالجمعِ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾.

المُطابَقةُ بين جمْعِ الشَّياطين، وجمْعِ الّذينَ لا يُؤمنون

مجازُ التَّعبيرِ، في قولِه تعالى: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾:

لمّا كانتِ الموالاةُ على حقيقتِها مُنتفيةً بين الشَّياطينِ والّذين لا يؤمنون، دلَّ على أنَّه قُصِدَ بالمولاةِ ما يتسبَّب عنها بما أوجدَه اللّهُ تعالى بينَهم منَ التَّناسُبِ، أو بإرسالِ الشَّياطينِ على الّذينَ لا يؤمنون وتمكينِهم من خِذلانِهم وحملِهم على ما سَوَّلوا لهم[3].

بيانُ إرسالِ الشَّياطينِ على الّذينَ لا يُؤمنون، وتَمكينِهم من خِذْلانِهم

سَببُ إيثارِ قولِه تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ دون غيرِه:

آثرَ التَّعبيرَ بنفْيِ الإيمانِ دونَ إثباتِ الكُفرِ، فلم يقلْ: (أولياء للذين كفروا)؛ للإشعارِ بأنَّ الإيمانَ قريبٌ منهم حاضرٌ بين أيديهم، ولكنَّهم يصدُّون عنه، فلا يقالُ: فلانٌ لا يؤمنُ إلَّا والإيمانُ معروضٌ عليه.

تحذيرُ النَّاسِ منَ الصَّدِّ عنِ الإيمانِ، فذلك أصلُ الخُسرانِ

مُناسبةُ مَجيءِ الاسمِ الموصولِ وصِلتِهِ:

في قولِه تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، سُلِك في الكلامِ التَّعبيرُ بالاسمِ الموصولِ لما تومئُ إليه صِلتُه إلى الوجهِ الّذي جعلَ اللّهُ الشَّياطينَ أولياءَ لهذهِ الطَّائفةِ وبيانِ السَّببِ، أي: لأنَّهم لا يؤمنون

عدَمُ الإيمانِ باللهِ ورسولِه، هو السَّببُ في تَولِّي الشَّياطينِ للّذين لا يُؤمنون

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/382.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/223.
(3) البيضاويّ، أنوار التنّزيل: 3/10، والخفاجيّ، عناية القاضي: 4/161.

باللّه جعل اللّهُ الشَّياطينَ أولياءَ لهم، والغرَضُ إهانتُهم واستحقاقُهم ما أخبرَ اللّهُ به عنهم[1].

حُسْنُ التَّذييلِ في آخر الآية، وأَثَرُه في المعنَى:

جُملةُ التَّذْييلِ، تَـجـرِي مجـرَى المَثَلِ الأصيلِ

جاءت جملةُ التَّذييلِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لتُفيدَ عُمومَ المعنى وكلِّيَّتَه، فهي كالمثلِ تجري في الكلام، والمعنى: قد مضت سنَّتُنا في التَّناسُبِ بينَ أنواعِ المخلوقات المتجانسةِ والمتشاكلةِ، أنْ يكونَ الشَّياطينُ الّذينَ هم شِرارُ الجنِّ أولياءَ لشِرارِ الإنسِ، وأشعرتْ جملةُ التَّذييلِ بالمفهومِ، أي: الّذي آمنَ لا يتَّخِذُهُ الشَّيطانُ وليًّا[2].

اختلاف التّعبير بـ(جعْلِ) الشّياطين، و(إرسالِ) الشّياطينِ:

الـجَـعْـلُ حُـكـمٌ وتَـصـيـيرٌ، والإرسالُ تخليةٌ بـين الـكَـفـرةِ والشّياطينِ

اختلافُ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: 27]، عن قوله: ﴿أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [مريم: 83]، عبَّرَ بالجَعْلِ هنا؛ لأنَّ معناهُ: (حَكمنا وصَيَّرنا بأنَّ الشَّياطينَ أولياءَ للَّذين لا يؤمنون)؛ أمَّا التَّعبيرُ بلفظِ الإرسال؛ فمعناهُ: (خَلَّينا بين الكَفَرَةِ وبين الشّياطين).

(1) السّكّاكي، مفتاح العلوم: ص: 182.

(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 8/330، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4103.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»